

أنا وأنت على الطريق

الشعور بالحزن وسلام الله

هل تعلمين سيدتي أن الشعور بالحزن يستمر أطول من أية مشاعر أخرى؟ اسمعي ماذا جاء في هذا التقرير تحت عنوان: **الشعور بالحزن يستمر أطول من أية مشاعر أخرى ب ٢٤٠ مرة**. إذا كنت ترغبين في معرفة أسباب غرقك في الحزن لمدة طويلة بعد التعرض لأي موقف مؤلم فستجدين الإجابة في دراسة بلجيكية جديدة أظهرت أن الشعور بالحزن يستمر أطول من أي مشاعر أخرى ب مئتين وأربعين مرة. وقال الباحثون من جامعة لوفان ، وفقا لصحيفة ديلي ميل البريطانية ، أن الحزن يستمر داخل الإنسان أكثر ب ٢٤٠ مرة من أي شعور آخر كالخجل أو الدهشة أو الغضب أو حتى الملل. وأوضح الباحثون أن الحزن يرتبط في الغالب بأحداث لها أثر كبير على نفس الإنسان مثل وفاة عزيز أو الانفصال أو الفشل وما إلى ذلك من حوادث مؤلمة، وبالتالي يحتاج الشخص إلى وقت أطول للتغلب على الحزن والتكيف مع ما حدث. ولقياس مدى طول وتأثير مختلف المشاعر طلب القائمون على الدراسة من ٢٣٣ متطوعا استحضار مجموعة من المشاعر التي انتابهم مؤخرا وتسجيل مدة بقاء تلك المشاعر بداخلهم. وجاءت النتيجة لتؤكد أنه من بين ٢٧ شعورا مختلفا ، استمر الحزن اطول مدة مع المتطوعين . بينما لم تبق معهم طويلا مشاعر أخرى كالخجل والدهشة والخوف والاشمئزاز والملل والغضب والراحة. إلى هنا ينتهي التقرير.

ترى ما هو اختبارك أنت في هذا المنحى يا سيدتي؟ منحى الشعور بالحزن بسبب فقدان عزيز عليك أو قريب لك أو صديقة مقربة أو شريك الحياة؟ لا بد أننا جميعا مررنا بهكذا ظروف جعلتنا نشعر بالحزن والأسى . لكن كم طالبت هذه المشاعر يا ترى؟ هنا بيت القصيد الذي يبحث فيه التقرير الذي شاركته به للتو. لدي صديقة فقدت زوجها الذي عاشت معه لسنة ونصف السنة فقط، بعد أن أنجبت منه طفلة. وبالطبع أصيبت بصدمة كبيرة لما حصل له، وهو بعد شاب. وبقيت حزينة عليه تبكي في كل مرة تذكر اسمه ، أو ترى صورة له، أو حين يذكر أحد أمامها شيئا عنه. وبقيت حزينة لسنوات طويلة . ورفضت الزواج من بعده، والآن وبعد مضي أكثر من ثلاث عشرة سنة على وفاته هي تعيش في ذكراه، وصوره لازالت تملأ جنبات بيتها مع ابنتها. حقا إن الخسارة عظيمة، ولا بد. ومن الملاحظ طبعاً، أن الناس يختلفون في طريقة التعاطي مع الأحزان ، فمنهم من يتقبل الوضع، ويستمر، ومنهم على العكس من ذلك، لا يتقبل الوضع ويبقى في قوقعته حزينا على ما حدث، لا يريد أن يتخطى المرحلة الصعبة، فتتشل حركته ، ويفقد حماسه للحياة، ومن المحتمل أن يغوص في بحر من اليأس أو الاكتئاب أو يصبح يعاني من الأمراض الكثيرة.

قلنا يختلف الناس في مواقفهم من الحزن والوقت الذي يأخونه في التغلب عليه. فنقرأ مثلاً في الكتاب المقدس عن امرأة يصفها الكتاب بأنها عظيمة ، كانت تعيش في مدينة اسمها شونم في فلسطين. هذه كانت ساكنة وسط شعبها وأهلها. وكانت كلما مرّ نبي الله آنذاك إلى شونم، تستقبله في بيتها وتقوم بضيافته. وطلبت إلى زوجها أن يبني له عليّة في البيت خاصة به. وهذا ما حصل. ولما مرّ نبي الله أليشع ذات يوم إلى شونم، ذهب إلى بيت الشونمية. وسرّ لما جهزت به الغرفة الصغيرة من أجل راحته. وأراد أن يكرمها فدعاها وقال لها: في هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ابنا. قال لها ذلك بعد أن علم أن ليس لها ولد وزوجها قد شاخ. فحبلت المرأة وولدت ابنا كما قال أليشع. وكبر الولد. وذات يوم ذهب إلى أبيه في الحقل وقال رأسي رأسي. فأرجعه إلى أمه. وبقي الولد على ركبتيها وعند الظهر مات. فوضعت به بكل هدوء على سرير رجل الله في العلية . وخرجت. وذهبت تفتش على نبي الله أليشع. ولما التقت بغلامه سألتها: أسلام لك أسلام لزوجك؟ أسلام للولد؟ قالت سلام. لكن لما رأته رجل الله للحال أمسكت برجليه. وقالت له: هل طلبت ابنا من سيدي؟ ألم أقل لا تخدعني. حيّ هو الرب وحيّة هي نفسك إنني لا أتركك. وللحال ذهب معها وصعد إلى العلية حيث كان الولد مضطجعا . وهناك صلى إلى الرب وتضرع لكي يقيمه ويرد إليه الحياة من جديد. وسرعان ما فتح الصبي عينيه. ودعا أليشع غلامه وقال: ادع هذه الشونمية فدعاها. ولما دخلت إليه قال: احلمي ابنك. فأنت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض. ثم حملت ابنها وخرجت.

هذه امرأة فقدت ابنها الوحيد الذي أنجبته بأعجوبة بعد مقابلتها لرجل الله أليشع. ولكن على الرغم من ذلك لم تستسلم لليأس أو الحزن. بل كل ما كانت تفوه به هو : سلام. و حين سألتها زوجها واستفسر عن سبب ذهابها إلى نبي الله لملاقاته قالت له سلام أيضاً ولم تخبره بأن الولد قد مات. لقد كانت لديها ثقة تامة بالله الذي منحها الولد تماما كما تتبأ لها رجل الله الذي يتكلم بكلام الله. لهذا ذهبت إليه وهي واثقة بأنها ستسترجع ابنها المائت إلى الحياة من جديد. إذن السلام الذي كانت تتكلم عنه هذه المرأة العظيمة هو سلام الله الذي يفوق كل عقل وإدراك. لأنه سلام على الرغم من الصعوبات والفقدان والحزن. ترى، هل لديك سيدتي هذا السلام الذي مصدره الله تعالى الخالق؟ هذا السلام الذي كتب عنه أيضا الرسول بولس أحد رسل المسيحية الأوائل حين قال: وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع. إذن نستطيع صديقتي أن نحصل على هذا السلام عن طريق الإيمان بالفادي يسوع المسيح الذي وحده رب السلام ومعطيه. عندها تستطيعين أن تتخطي حزنك ومسبباته لأن قلبك متكل على الله وفيه سلام المسيح العجيب.
